ـ زلال الحمل

اذا كنت تريدين أيتها السيدة — وأنت تريدين بلاشك — أن تحتفظي بصحتك وتبقين سالمة معافاة ، وتقطعي مرحلة الحمل مطمئنة الفكر خالية البال بدون أن يحدث لك ما لا تحمد عقباه ، فنصيحتي اليك أن تقرئي هذه السطور وتعيريها الاهتمام الذي تستحقه . إن الموضوع الذي أريد أن أحدثك به اليوم من أهم المواضيع التي يجدر الانتباه اليها بالنظر لخطورتها ، كيف لا والزلال الذي لم يؤبه له أو لم يلتفت اليه ويعالج العلاج اللازم في حينه فصيره السيء ولا ريب حدوث الارجاج النفاسي [1] Eclampsie الذي هو عبارة عن تشنجات مخيفة شبيهة بتشنجات الصرع أو الهستريا ، مع حدوث اشتراكات أخرى وخيمة العاقبة كالنزف وراء المشيمة وغيره ، تلك التي تعرّض حياتك وحياة جنينك الى الخطر .

فوجود الزلال في البول إبان الحمل — ذاك الذي يتسبب خصوصاً من وجود الجنين في أحشاء أمه — من العوارض المهمة الخطيرة التي يجب الاهتمام بها والعمل على ملافاتها قبل أن يستفحل أمرها ويتعذر شفاؤها . فقد تكون السيدة مصابة بزلال عرضي ينأتى عن

(١) يحدث الارجاج أو التشنجات النفاسية مرة واحدة تقريباً في ٥٠ ولادة ، ويغلب حدوثه بنوع خاص عند البكريات وعند اللاتي يكون عادة الرحم عندهن متمدداً وإتيه ضائقة شديدة . ويسبق حدوثه في أثناء الحمل وجود الزلال والتورم ، ويظهر المرض في بعض الاحيان في ساعة الوضع ، وقد يظهر في مدة الحمل أو تقط في أثر الولادة . وقد يكون ظهور الارجاج أيضاً من غير أن تسبقه أعراض منذرة .

ويستنتج من بعض الاحصاءات الرسمية ان على ٣١٦ حالة من هذا المرض عند الحوامل : ١٩٠ منها كان حدوثه في أثناء الوضع ، و ٦٤ على أثره . وفي الندر أن النساء اللاتي أصبن بالارجاج مرة يصبن به أيضاً في الولادات التالية . هذا والوراثة بعض التأثير في إحداثه . فقد ذكروا أن عائلة بكاملها قد أصيبت به (الام وابنتها أولا) ، ثم الابنة الثالثة من نفس العائلة وهي في الشهر السادس من الحمل ولقد ماتت الشقاء . وأخيراً الابنة الرابعة : وهذه لم يظهر عندها في أثناء الحمل أية علامة لوجود الزلال في البول ، لكنه ظهر عندها بدأة قبل الولادة بخمسة عشر يوماً بدرجة عالية مما أدى الى وفاتها نتيجة التشنجات التي حدثت عندها في بداية الوضع .

الحمل ويزول بعد الولادة ، أو بزلال كان موجوداً عندها قبل الحمل كمرض برايط مثلاً Maladie de Bright وهذا يكون للسيدة ولذويها علم به من طبيبها المعالج وتبقى مستمرة على اتباع المداواة نفسها كما كانت قبل الحمل . أو أخيراً تكون مصابة بزلال منشؤه التهاب أو مرض آخر في الكلى يعود سببه الى البرد او الى الاصابة بالحمى القرمزية أو الى عدوى أخرى وقعت قبل الحمل أو في أثنائه . فهذه الحالات لا تهم كثيراً ، غير أنه يجب الالتفات اليها لأنها تزيد عادةً في وطأة الزلال عند الحامل . ولكن أكثر حالات الزلال خطورة هو الذي يتسبب ، كما قلنا ، من وجود الجنين في أحشاء أمه ، وتبدو حينئذٍ نتائجه الوخيمة سواء قبل الوضع أو في أثنائه ومنشأ ذلك كله امتصاص الدم للسموم التي تسبب تلك التشنجات . والزلال نفسه نراه يزداد في أثناء الحمل من البداية إلى النهاية ، ويساعد على حدوث نزف دم غزير عند الحامل ممّا يضع الطبيب المولّد في مأزق حرج ولا يدري ماذا يعمل في غالب الأحيان حيال هذه الحالة ولا سيما حيال أعراض التشنج المشار اليها .

﴿ أعراضه المنذرة ﴾ : أهم العلامات التي تنبئنا بوجود الزلال في البول بصورة لا تقبل الجدل هي أنه في كل مرة تأتي اليك حامل وتشكو تعباً زائداً في جسمها ، وصداعاً مستديماً وأوجاعاً في أسفل البطن وفي منطقة الفقرات القطنية ، واختلاجات عضلية ، ودوار ، وتشوشات الرؤية ، والتقزز وفقد الشهوة إلى الطعام ، والقيئات . ولا سيما وجود ورم في الوجه والجفون واليدين والرجلين مع إزدياد في ضغط الدم فيجب حينئذٍ أن تشكّ في أمرها ثم تأتي بعدئذٍ نتيجة فحص البول الايجابية فيتأيد لك إذ ذاك أن السيدة المشار إليها مصابة بالبيلة الآحيلية Albuminurie . وليس ضرورياً أن تكون جميع هذه العلامات موجودة للاستدلال على وجود الزلال في البول ، بل أن علامتين أو ثلاثاً منها تعتبر كافية لتحذيرنا وتنبيه فكرنا للقيام بالواجب والعمل سريعاً على ما تتطلبه الحالة من العلاج .

ومما تجب الاشارة إليه هو أن زلال الحمل لا يرافقهُ في غالب الأحيان أي أذًى أو التهاب في الكلى . ولذا تجهل السبب الحقيقي لوجوده في البول : هل إن ذلك عائد إلى استعداد خاص في مزاج المصاب ، أو إلى رداءة حالته الصحية ، أو إلى وجود عائق ميكانيكي عنده (ورم مثلاً) أو أخيراً إلى ضغط دم ؟ الخ الخ . والغالب أن امتصاص الدم للسموم إبان الحمل ، كما قلنا ، هو الذي يسبب تلك الحالة الخطيرة عند بعض الحوامل .

﴿ سيرهُ ﴾ : يختلف هذا باختلاف حالة المريض ؛ ففي بعض الأحيان يكون الزلال عرضيًّا وتزول أعراضهُ بفضل المداواة والعلاج ، وإن كان يعتري الحامل أحياناً بعض أدوار

خطرة نسبيًا . وفي أحيان أخرى يأخذ المرض شكلاً متقطعاً ، وتظهر فعلاً على الحامل أمارات التحسن أو الشفاء ، لكنه يعيد الكرة ثانية ويفاجيء الحامل أو يهاجمها في كل حمل جديد ، فهذه الحالة هي التي يُلاحَظ فيها خصوصاً موت الجنين في خارج الرحم ، وإذا وُلد هذا فيكون هزيلاً ضعيفاً ناحلاً . ومع ذلك فهو ينمو ويترعرع في المستقبل كالأطفال الآخرين .

﴿ علاجه ﴾ : تدابير واقية : يتحتم على كل حامل مهما كانت حالتها الصحية أن تفحص بولها فحصاً منتظماً حينما تشعر بحملها للتثبت من وجود الزلال فيه أو عدمه ، وتستمر على هذا الفحص طيلة مدة الحمل دفعاً للمفاجآت والاضطراكات الخطيرة المعرِّضة لها ، وبذلك تبقى في حرز حريز من غوائل هذا الداء وتصون حياتها وحياة طفلها . وهو لعمرُ الحق أمر بسيط جداً بحدّ ذاته ، لكنه ضروري في أهميته . ولحسن الحظ نرى كثيرات منهنّ يدركن هذه النقطة الهامة ويبادرنَ حالاً لمراجعة الطبيب لمعرفة ما اذا كان يوجد عندهنّ زلال في البول مهما كانت أسبابه وبواعثه . وعلى كلٍّ يجدر بكل حامل أن تراجع الطبيب في مدة الخمسة أشهر الأولى مرة في كل شهر . وفي الشهرين السادس والسابع مرتين شهريًا ، وفي الشهرين الثامن والتاسع مرة واحدة في كل اسبوع . وتستمر على ذلك ما دام الزلال موجوداً وعند ما تكون نسبة الزلال عالية في البول فعليها ألاّ تتناول سوى اللبن الحليب لمدة ثمانية أيام وتتجنب جميع المواد الزلالية كالبيض واللحوم . وإذا كانت نسبة الزلال في البول خفيفة فتبقى مستمرة على تناول الحليب كالعادة ويُسمح لها في الوقت نفسه بأكل الخضار والبقول واللحوم البيضاء (كالاسماك والدجاج ولحم العجل والحمام) والفواكه بكثرة ، وتشرب الشاي والقهوة الخفيفة . وإذا تعذر عليها تناول اللبن الحليب وحده فيمكنها أن تستعيض عنه بماء أفيان أو ماء فيشي وغيرهما من المياه المعدنية ، أو أن تتناول اللبن الحليب ممزوجاً بالمياه المعدنية . وتتحاشى كذلك الأطعمة المملّحة مهما كانت نسبة الملح فيها ضئيلة ، وتحترس خصوصاً من البرد ، وتستعمل المسهلات بين وقت وآخر ، وتكون حياتها مريحة هادئة .

فاذا اتبعتْ هذه الارشادات بدقة وعناية تبقى في مأمن من ويلات هذا الداء الذي طالما أودى بحياة الكثيرات منهنّ نتيجة الجهل والاهمال .

الدكتور عبده بدوي

طبيب مختص المياه والملاحة بالنجف — (العراق)